الحكمةُ والمشيبُ في شِعرِ ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) دراسة تحليلية

المدرس الدكتور محمد طه جواد ياسين

جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الصرفة

tdrmohammed@gmail.com

المخلص :

تناولتْ هذه الدراسة موضوعي الحكمة والمشيب ، وما يرتبطُ بهما ضمناً من معانٍ ، وموضوعات أُخرى ، كالموعظة ، والنصح ، والإرشاد ، في شعرِ شاعر أندلسيّ قدير ، تركَ بصمةً مؤثرةً ، تنافسُ غيرها ، في ساحةِ الشعرِ العربي بشكل عامٍ ، والأندلسي (الفردوس المفقود) بشكلٍ خاصٍ ، فقد حاولَ هذا الشاعر جاهداً في الكثيرِ من نصوصهِ الشعريةِ تسليط الضوءِ على هذه الموضوعاتِ الإصلاحية ، التي تساهمُ في بناءِ المجتمع ، والإنسان ، وتحثه على السير نحو طريق الصواب ، وخصوصاً في مرحلةِ شيخوختهِ ، بعد أن نضجَ عقله ، وتخلصَ من ملذاتِ الدنيا الزائلة ، وتحولَ سواد شعره إلى البياضِ ، الذي يعد بنظره اشارة واضحة لدنو الموت ، وقربه ، فتيقن من زوالِ الشبابِ ، الذي كانَ عليه ، وعدم عودته كما يعود ظلام الليل بعد ضوء النهار ، وذهبت هذه الدراسة إلى اتباع المنهج التحليلي في دراسة النصوص الشعريَّة التي تدخل تحت مظلة موضوع الحكمة ، أو يجلس هو خلفها كما في شعره الذي تناول صورة الشيب ؛ لأنَّه الأصلح لذلك بحسب رؤيتنا المتواضعة ، وقد قسمت الدراسة على تمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة .

Savior:

This study dealt with the two topics of wisdom and old age, and their implicitly related meanings and other topics, such as admonition, advice, and guidance, in the poetry of a capable Andalusian poet, who left an influential imprint, competing with others, in the arena of Arabic poetry in general, and Andalusian (Paradise Lost) in particular. In many of his poetic texts, this poet tried hard to shed light on these reform themes, which contribute to building society and man, and urge him to walk towards the right path, especially in the stage of his old age, after his mind has matured, and he has gotten rid of the fleeting pleasures of the world, and his poetry has turned black. To the whiteness, which in his view is a clear sign of the imminence of death, and its nearness, so he was certain of the demise of youth, which he was upon, and that it would not return as the darkness of the night returns after the light of day. Or he sits behind her, as in his hair, which covered the image of gray hair; Because it is the best for that according to our humble vision, and the study was divided into an introduction, two topics, and a conclusion.

التمهيد : الحكمة والمشيب في الشعر العربي ، المفهوم والنشأة :

الْحَمْدُ للهِ الْمَلِكِ الْمَعْبُود، ذِي الْعَطَاءِ ، وَالْمَنّ ، وَالْجُود، وَاهِبِ الْحَيَاةِ ، وَخَالِقِ الْوُجُود، الذي قالَ : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(١). والصلاةُ والسلامُ على من لم يكتبْ بقلمٍ ، ودانَ له كلُّ قلم ، القائل : { إنَّ من الشِعرِ لحكمةً } (٢). وعلى آله وأصحابه الطيبينَ القمم ، ما خطَّ على ورقٍ قلم ، أما بعد .فقد جاءَ معنى الحكمة في المعجم الوسيط : معرفَة أفضل الْأَشْيَاء بِأَفْضَل الْعُلُوم وَالْعلم والتفقه ، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز : ﴿ وَلَقَد آتَيْنَا لُقْمَان الْحِكْمَة ﴾(٣)، فهي الْكَلَام المؤثر الَّذِي يقل لَفظه، ويجل مَعْنَاهُ (٤). وجاء معنى الشيب والمشيب في اللغة: الشيب: بَيَاض الشّعْر وَرُبمَا سمي الشّعْر نَفسه شيبا ، والأشيب ذُو الشيب ، وَيُقَال جبل أشيب سقط عَلَيْهِ الثَّلج ، وَيَوْم أشيب فِيهِ غيم وَبرد ، وَهِي شيباء شيب ، وَاللَّيْلَة الشيباء آخر لَيْلَة من الشَّهْر ، والمشيب : سنّ الشيب (٥).إنَّ موضوع الحكمة من الموضوعات الرئيسةِ ، التي يعج الشعر العربي بها ، على مرِّ العصورِ ، والأزمنةِ ، وأكثرها بقاءً ، وخلوداً بين الأجيال ، إذ يمكن القول أنَّ الحكمةَ هي اللسان المصرح المعبر عما يختلجُ بالأذهانِ ، والقلوب ، باتجاهِ الأحداثِ ، والمواقفِ ، ليُذهب عن النفوسِ الآلام ، والمتاعب ، وتزيح عن الأرواحِ السقم ، والهم ، وكلما صدرت الحكمة من شاعرٍ مبدعٍ حكيمٍ كانَ لها من الحظِ الوفير ، والنصيبِ الغزير في التأثير .ويمكن الجزم أنَّ الوعظ والنصح ينطويان تحت جناح غرض الحكمة ، التي تمثل عُصارة التجربة الحياتية للشاعر ، فيحاول أن يرسلها إلى المتلقي من خلال الأفكار ، والمعاني التي يتمّ تضمينها ، وذكرها في النصوص الشعرية التي ينظمها ، فتتضمن نصوص الحكمة الكثير من النصائح والإرشادات ، التي تفيدُ الإنسان في حياته ، بما في ذلك المواعظ والحكم التي ترتبط بشكلٍ أساسيّ بالجانبين الأخلاقي والديني، والتي تحث على التمسُّك بما يرضي الله تعالى من أعمال طيبة صالحة ، تجعل من الإنسان مقبولاً ، وتُفيده في الدار الآخرة .وللحكمة الجيدة المؤثرة مجموعة سمات منها أن تكون موجزة ، سهلة الألفاظ ، صادقة ، مؤثرة ، بعيدة عن التكلف ، صادرة عن اقتناع حقيقي لصاحبها بها ؛ وإلا كانت حكمة فاترة ، غير قادرة على التأثير ، والإقناع ، وبالتالي غير قابلة للتداول ، والانتشار(٦).ويساعد الشعر الذي يتحلى بالحكمة ، والموعظة ، والإرشاد الصادق على إصلاح النفس البشرية ((ويربيها على الأخلاق الحميدة النبيلة ، ويحثها على الأفعال الحسنة الجميلة ، ويزجرها عن الخصال السيئة الذميمة ، وينفرها من المنكرات ، وفعل الفواحش ، والرذيلة . حتى تسمو في مدارج الخير ، والرفعة ، وتبتعد عن مهاوي الشرِّ))(٧)، ويمكن أن نقول إنَّ الشاعر ((هو ذلك الموجه ، والمرشد إلى المحامد ، والمكارم ، المحقق للغايات ، والمقاصد ، التي ترفع من مكانته ، ومنزلته ، وترتقي

بأفراد مجتمعة ، وقبيلته ، فإذا عدل عن هذه الغايات المجيدة ، وتطرق إلى أغراض مهينة ، دنيئة ، انحدرت مكانته ، وسقطة منزلته))(٨). لذا فإنَّ معظم شعراء العرب ، وفي مختلف العصور ((كانوا أكثر قدرة على التعبير الصادق عن رؤيتهم الحقيقية للحياة ، وما يبعثه الزمن الضيق في نفوسهم من أحاسيس ، وانفعالات))(٩).وقد انتشرَ غرض الحكمة في جميع العصور ، بدءاً بالشعر الجاهلي ، وجاء يحمل السمات التي أشرنا إليها، إذ أنَّ الحِكم في تلك المدَّة تتمثل بين مضارب الخيام المترامية الأطراف ، عبر الصحاري الواسعة ، المحاطة بالعزلة شبه التامة عن باقي البلدان ، والشعوب ، لتعالج النماذج السامية من أعراف وتقاليد ، تحث على المكارم ، والأخلاق الفاضلة ، من عضةٍ وتسامحٍ ، وشهامةٍ ورجولةٍ ، ووفاءٍ ، وحسن جوارٍ . كما فرضت طبيعة المكان القاسي على الإنسان العربي آنذاك التحلي بالصبر على مكاره الحياة ، ومشاق الصحراء القاسية (١٠). ومن جميل شعر الحكمة في الشعر الجاهلي قول زهير بن أبي سُلمى من أبياتٍ صادقة مؤثرة أظهرت تجاربه ، بحياة صعبة ، يتطلب التعامل معها بحكمة ، وعقل ناضج (١١):

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمانِينَ حَوْلًا لا أَبا لَكَ يَسْأَمِ
رَأَيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِب ... تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيَهرَمِ
وَأَعلَمُ عِلمَ اليَومِ وَالأَمسِ قَبلَهُ ... وَلَكِنَّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ عَمِ
وَمَن لا يُصانِع في أُمورٍ كَثيرَةٍ ... يُضَرَّس بِأَنيابٍ وَيوطَأ بِمَنسِمِ
وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَبخَل بِفَضلِهِ ... عَلى قَومِهِ يُستَغنَ عَنهُ وَيُذمَمِ

ومن شعراء الحكمة في العصر نفسه طرفة بن العبد ، صاحب المواهب الخاصة النادرة ، والاستعدادين الشعري والذهني المبكرين ، فعلى الرغم من حداثة سنه ، وصغره فإنَّ مواهبه المبهرة تفتقت مبكراً ، لتخرج لنا أبياتاً ارتفعت شهرتها وطارت في الآفاق(١٢)، فقال(١٣):

سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً ... وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ
وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تَبِع لَهُ ... بَتاتاً وَلَم تَضرِب لَهُ وَقتَ مَوعِدِ

وكذلك الحال مع المشيب ، وقد ذكر في القرآن الكريم في مواضع عدَّة ، منها قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾(١٤)، وقد عمد الشعراء منذ القدم إلى الحديث عنه في نظمهم ، ونادرا ما يخلو ديوان شعرٍ من الحديث عنه ، أو الإشارة إليه ، سواء أكان ذلك يمثل معاناة حقيقية بالغة لصاحبه ، أم مجرد تناول عادي تقليدي يلجأ إليه الشاعر في بعض نصوصهِ الشعريةِ ، أم موضوع نقاش وحوار في بعض لمحات قصائده ، أو مقطعاته (١٥)، ومن جميل ذكر المشيب في الشعر الجاهلي قول الشاعر امرئ القيس (١٦) :

فواعجبا ما قد عَجبتُ من الفتى ... تُبَدله الأيام والدهر أعْصُرا
فإن يُمسِ يوما ذا شباب فإنها ... سَتُخلفُه شَيْبا وخَلقاً مُحسَّرا
ولو خُيّر اللوْنَين أيُّهما لَهُ ... لقالَ سوى هذا ، ولَوْ كانَ أزهرَا

وقول عدي بن زيد (١٧):

بَانَ الشَّبابُ فما لَهُ مَرْدُودُ ... وَعلَيَّ مِن سِمة الكَبيرِ شُهودُ
شَيبٌ بِرَأسي واضِح أُعقبتُهُ ... مِن بَعدِ آخَرَ بَانَ وَهوَ حَميدُ
وأرَى سَوادَ الرَّاسِ يَنقُصهُ البِلَى ... والشَّيبُ عَن طُولِ الحَياةِ يَزيدُ

وقد استمر توظيف صورة الشيب ولونه الأبيض في الشعر العربي ، والذي يعكس حالة الهرم ، والضعف منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحالي ، واختلفت صوره بين شاعر وآخر ، بل حتى في نصوص الشاعر الواحد ، بحسب الموقف النفسي ، والحالة التي هو عليها في نظمه للنص الشعري .

المبحث الأول : الحكمة في شعر ابن عبد ربه الأندلسي :

هو أبو عُمر أحمد بن محمد بن حبيب بن حُدير بن سالم القرطبي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي ، ولدَ بقرطبة سنةَ ستٍّ وأربعينَ ومِئتين للهجرة ، في العاشر من رمضان من تلك السنة ، وامتد به العمر ، وحين بلغ الثمانين أُصيب بمرض فالج ، إلا إنَّه لم يتوقف عن قول الشعر . توفي بقرطبة يوم الأحد ، من جمادي الأولى ، سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة ، وهو ابن إحدى وثمانين سنة ، وثمانية أشهر ، وثمانية أيام (١٨) .

وتعكس الحكمة في شعر ابن عبد ربه الذي يمثلُ ((قدوة شعراء الأندلس ، وأدبائها))[١٩]، خبرته العميقة الطويلة في الحياة ، واختلاطه بمختلف اصناف البشر ، وإدراكه للمشكلات ، وكيفية التعامل معها ، بتحكيم العقل الناضج ، وترجيحه ، كيف لا وقد كان ((عالماً بالحديث ، بصيراً بطرقه ، متكلماً على علله ، كثير الحكاية عن العبادة ، ورعاً زاهداً ، فقيراً متعففاً ، صابراً على الاستماع ، محتسباً على نشر العلم))[٢٠]، فوظف تجربته الحياتية بشعره ، فجاء شعرهُ جيداً مؤثراً ، لذا يُصنف عند علماء ، ونقاد الأندلس من فحول شعرائها ، ويُضعُ شعره في الطبقة المتقدمة ، والذروةِ العليا [٢١]. وفي هذا المبحث سنحاول التركز على شعر الحكمة ، كغرض أساسيّ قصده الشاعر ، ونظم عليه شعره ، فقد قال من جميل شعره حكمة عظيمة صريحة ، تحث على مكارم الأخلاق ، والعمل الصالح ، خلدتْ على مرِّ الأجيال ، وستخلد [٢٢] :

يا مَنْ تَجلّدَ للزَّما ... نِ أمّا زمانُكَ مِنْكَ أَجْلَدْ
سَلِّطْ نُهاكَ عَلَى هَوَا ... كَ وَعُدَّ يَوْمَكَ لَيْسَ مِنْ غَد
إنَّ الحَياةَ مَزارِعٌ ... فَازْرَعْ بِها ما شِئْتَ تَحْصُد
وَالنَّاسُ لا يَبْقَى سِوَى ... آثارِهِمْ وَالعَيْنُ تُفْقَد
أَوَ ما سَمِعْتَ بِمَنْ مَضَى ... هَذَا يُذَمُّ وَذاكَ يُحْمَدْ
والمالُ إنْ أَصْلَحْتَهُ ... يَصْلُحْ وَإنْ أَفْسَدْتَ يَفْسُدْ
وَالعِلْمُ ما وَعَتِ الصُّدُو ... رُ ولَيْسَ مَا في الكُتبِ يَخْلُدْ

يعد النداء من وسائل التنبيه المهمة التي يستعملها الشعراء دائما ؛ لما له من تأثير في نفس المتلقي ، وعقله ، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالنصيحة ، أو الوعظِ ، أو الإرشاد ، لذا عمدَ الشاعر هنا إليه لينادي على من احْتمَل مصائب الزمان ، والدنيا، ولم يجزَع ، وصبَرَ على ما أصابه من مَكّاره ، وآلام ، ليقول له إنَّ زمانك سيستمر بهذه القسوة ؛ لأنَّه أكثر منك تجلداً ، وهذا حاله ، ويأمر المنادى في البيت الثاني أن يسلط النهى على الهوى ، ولا يعد اليوم من الأمس ؛ فالدنيا عبارة عن حقلٍ ، وعلى الإنسان أن يزرع بهذا الحقل كلّ زرع مثمرٍ ، وعمل صالح ، ليحصد ثماره في الدار الآخرة ، فالدنيا دار فناء ، ولن يبقى بها إلا ما تركه الإنسان من فعل محمودٍ ، أو مذمومٍ ، وبالنتيجة يُعدُّ هذا الأمر أساس التفاضل بين البشر ، وبناءً على ذلك فعلى الإنسان الاجتهاد دوماً لزرع العمل الصالح بمزرعة الدنيا ، ليترك أثراً طيباً يحمد عليه دوماً وأبداً مع الأجيال اللاحقة ، ثم يحاول الشاعر أن يسلط الضوء على مثالين يمكن من خلالهما زيادة أثر الحكمة ، والنصيحة في المتلقي ، إذ يمكن للإنسان أن يوظف ماله بما يرضي الله تعالى ، وبالنتيجة سيحصل على الأجر الكبير ، الذي يورثه الفردوس الأعلى ، والعكس صحيح إذا وظفه في اتباع الشهوات ، والرغبات ، فسيحصل على الذنب العظيم ، الذي يدخله النار ، وكذلك الأمر بما يتعلق بالعلم ، فليس الغرض من العلم أن يدون في الكتب من دون الإفادة منه ، بل يجب الانتفاع منه ، والنفع به ، بتعميمه على الآخرين ، والدعوة إليه ؛ لأنَّ العلمَ هو ما ودّعَ في الصدور حتى يُخلد الإنسان بوساطته . ويستمر شاعرنا في بث الحكمة في شعره ، فجاءت تحمل دلالة عظيمة ، تزرع الأثر بنفس متلقي النص العاقل ، وتحثه على صلة الرحم ، والتواصل مع من تألفه النفس ، والابتعاد عن اصدقاء السوء ، وذلك بقوله [٢٣] :

قالوا شبابُكَ قد ولَّى فقلتُ لهُمْ ... هل من جَديدٍ على كرِّ الجَديدين
صِلْ من هَوَيتَ وإنْ أبدى مُعاتَبةً ... فأَطيبُ العيشِ وصْلٌ بينَ إلفين
وأَقْطَعْ حَبَائلَ خلٍّ لا تُلائمُهُ ... فربَّما ضاقَتِ الدُّنيا على اثْنينِ

ينقل الشاعر هنا محاورة تمت بينه وبين مجموعة من الناس ، موضوعها انقضاء الشباب ، وذهابه ، وكأنهم يذكرونه بصيغة التعجب بالحالة التي هو عليها الآن ، وكيف كان فيما مضى ، ليجيبهم بسؤالٍ استنكاريٍّ مفاده إنَّ عطف ورجوع الليل على النهار لا جديد به ، فهذه حالة واضحة تحدث كل يومٍ ، والأمر كذلك فيما يخص الشباب والشيخوخة ، فبعد كل شباب هرم ، وشيخوخة ، إلا أنَّ المفارقة بين حالة تَداوم الليل والنهار ، والشباب الشيخوخة تكمن بعدم رجوع الشباب بعد الهرم والعجز ، وبعد ذلك يوجه رسالة بصيغة الأمر ، فيها من الحكمة الشيء العظيم ، تتمثل بوجب وصل من تهواه النفس ، وخصوصا إن كان من الأهل ، حتى وإن كان هذا الشخص كثير المعاتبة ؛ لأنَّ العيش يطيب بهكذا أشخاص ، وتكتمل الحياة بهم ، وتطمئنُ النفس بوجودهم ، ويتربع الحزن على القلب برحيلهم . أما من لا يسير من البشر مع تطلعات النفس ، وطموحاتها فعليك أن تقطع حبل الوصال بهم ؛ لأنَّ المركب الواحدة لا تسعك أنت وهو ،

بل الدنيا لا تقبلكما بآنٍ واحد ، وهذه حكمة عظيمة تولدتْ نتيجة لخبرة الحياة المتراكمة ، وتدل على التجارب التي مرَّ بها الشـــاعر مع غيره من البشر . وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى تشخص البخل ، وأصدقاء السوء ، وحجم نكرانهم للجميل ، فبقاؤهم موت عليهم ، ليقول في ذلك (٢٤) :

أَبَا صَالحٍ أَيْنَ الكِرَامُ بأَسْرِهِمْ ... أَفِدْنِي كَريماً فَالكَرِيمُ رِضَاءُ
أَحَقّاً يَقولُ النَّاسُ في جُودِ حَاتِمٍ ... وَابْنُ سِنَانٍ كَانَ فِيهِ سَخَاءُ
عَذيريَ مِنْ خَلْفٍ تَخَلَّفَ مِنْهُمُ ... غَبَاءٌ وَلُؤمٌ فَاضِحٌ وَجَفَاءُ
حِجارة بخلٍ ما تجود وربَّما ... تفجَّر من صمّ الحجارة ماءُ
وَلو أَنَّ مُوسى جَاءَ يَضْرِبُ بِالعَصَا ... لمَا انْبجَسَتْ مِنْ ضَرْبِهِ البُخَلَاءُ
بَقَاءُ لِئَامِ النَّاسِ مَوْتٌ عَلَيْهِمُ ... كما أَنَّ مَوْتَ الأكرَمِينَ بَقَاءُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ تَجُودَ أَكُفُّهُمْ ... عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ العَزِيزِ عَفَاءُ

ينادي الشاعر هنا على شخص يدعى أبا صالح ، ليسأله (بأين) عن الأشخاص الكرام ، ومصيرهم ، ويطلب منه أن يدله على أحدهم ، معاصراً له ؛ لأنَّ اللقاء بالكريم يدخل السرور إلى النفس ، وصحبته تطيب القلب ، وتزيح الهم ، ويبدو أن سبب السؤال هذا يكمن في اضْمِحْلال وتلاشي صفة الكرم بين من كان يظنهم أصحابه ، وسرعان ما يصرح بذلك قائلاً : (عَـذيرِيَ مِنْ خَلْفٍ تَـخَلَّفَ مِنْهُمُ) ، فهم جمع تطبعوا بالصفات السيئة ، التي تتمثل بالغباء ، واللؤم ، والجفاء ، والبخل ، فيشبههم عن طريق الاستعارة بالحجارة الصماء ، التي لا تجود ، ثم يتراجع عن هذا التشبيه ، وهذه الاستعارة ؛ لأنَّ من الحجارة ما تتفجر منه الأنهار ، وهذا تضمين لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾(٢٥)، فهم تطبعوا بالبخل ، وتغلغل هو بهم ، ولن يتغيروا نهائياً ، حتى لو جاء النبي موسى (عليه السلام) وضربهم بعصاه ، كما ضرب الحجر عندما استسقاه قومه ، فلن ولن يتركوا البخل ، وهذا تضمين آخر لقوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾(٢٦)، فبقاء هؤلاء اللئام على قيد الحياة هو موت لهم ؛ لأنهم لم يتصدقوا من مال الله الذي آتاهم إياه ، بل حرموا أنفسهم وغيرهم منه ، فبالكرم يُخلد الإنسان ، كما خُلدَ حاتم الطائي ، وابن سنان على مرّ العصور ، وبه يرتفع شـــأنه عند الله جل جلاله ، أما هؤلاء فيســتحيل أن تجود أكفهم على غيرهم ، أو على أنفســهم ؛ لأن الله تعالى تركهم على عادتهم السيئة . والحكمة في هذا النص تكمن في البيتين الأخيرين ، وتتمثل بوجوب الابتعاد عن اصدقاء السوء ، الذين تجف بهم صفة الكرم ، وتموت ، فمن غير الكرم لا حياة للإنسان ، ولن يُخلد ، وسيذم من قبل الأجيال اللاحقة ، لذا يجب الترفع عن البخيل ، والابتعاد عنه ؛ لأنَّ المال كله لله تعالى ، وهو القادر على تجريد الإنسان منه متى شاء .

إنَّ الشـاعر هنا يوجه دعوة للتمسك بفضيلة الكرم أو الجود ((ودفعا إلى انتشـارها ، والتسابق للظفر بأكبر نصـيب منها ، والرغبة في تحقيق مثل هذا المكسب المعنوي ، الذي يخلد صـاحبه ؛ ليصـبح قدوة للآخرين ، ومنارة تنير درب السـالكين من ذوي الطموح في فعل الخير ، الذين يتبوؤون ذروة سـنام الشـرف ، وعلو المنزلة))(٢٧) . وهذا ما دفعَ الشـاعر إلى ذم البخل والبخيل في نصٍ مسـتقل ، ليؤكد على الالتزام بالكرم ، والابتعاد عن البخل ، والحث على نكران المنكر ، والتمسك بالمعروف ، وذلك بقوله (٢٨) :

طعامُ مَنْ لستُ له ذاكراً ... دقَّ كما دَقَّ بأن يُذْكرا
لا يُفطرُ الصائمُ من أكلهِ ... لكنَّه صومٌ لمن أفطرا
في وجههِ من لؤمهِ شاهدٌ ... يكفي به الشاهدُ أن يُخبرا
لم تعرفِ المعروفَ أفعالهُ ... قطُّ كما لم يُنكرِ المُنكَرا

ويأخذنا الشاعر الحكيم إلى حكمة أخرى مؤثرة ، لا تقل عن غيرها ، ويبدأها بالنداء على منادى نكرة ليست مقصودة ، وذلك بقوله (٢٩) :

يا غافلاً ما يَرى إلا محاسِنَهُ ... ولو دَرَى ما رأى إلا مَسَاوِيهِ
انظُرْ إلى باطنِ الدُّنيا فظاهرُها ... كُلُّ البهائمِ يَجْري طَرفُها فيه

فينادي ابن عبد ربه على كل من يتلقى النص ؛ لإيصـال النصـيحة التي يرغب بإيصـالها إليه ، والتي تتمثل بوجوب النظر إلى باطن الدنيا ، لا إلى ظاهرها ، بمعنى آخر النظر إليها بعين العقل ، وليس بالعين الحقيقية ، التي تبحث عن المحاســن ، والملذات ، فبالعقل

يمتاز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى ، وبه يعقل الأمور ، ويدرسها ، وكل من يتجاهل العقل من البشر يُعدُّ بنظر الشاعر غافلاً ، كما صرح بذلك في البيت الأول . وكما هو معروف أنَّ الإنسان في « دور الشباب ينصرف إلى الماديات ، ويصرف نشاطه في تحصيلها ، فيلهيه التكاثر عن التأمل ، وتطغيه القوة فلا يبحث عن العلل ، وحين يقف على عتبة الشيخوخة » (٣٠)، ويحس بحجم الضعف ، والهرم الذي دب فيه ، « يقف موقف المتأمل من الحياة ، وطبائع الناس ، ويقيس الأشياء والنظائر ، ويقابل بين النقيض ونقيضه ، ويجمع بين السبب والنتيجة ، ويحاول أن يتبنى العلائق بين الأشياء ، ويتخذ لنفسه قواعد يسير عليها في حياته ، تعوضه عما فقد في قوة الشباب ، وحيويته ، ويتطرف به التفكير من علاقة إلى علاقة ، فيحاول أن يفهم الحياة بعللها » (٣١)، ولا يلبث أن يعثر على نفسه وقد اتعظ ، وابتعد عن الدنيا وملذاتها ، ويمكن القول أنَّ الشاعر هنا ينقل تجربته الشخصية التي مرَّ بها ، على الرغم من عدم التصريح بذلك ، فمن خلال شعره في الغزل على سبيل المثال يتضح لنا كيف كان في مرحلة الشباب ، وكيف أصبح بعد أن أحاط به ستار الضعف ، والهرم ، والكبير ، فضلاً عن الألم الذي مرَّ به ، وتجرعه في حياته ، بفقدهِ لفلذتي كبده . فنجده يصرح بذلك الألم الذي لا يوصف برثائه لأحدهم ، إذ نجده يتمنى الموت حتى يلحق به ، وبكل تأكيد إنَّ فقد الابن يسلب الروح من الجسد ، فيقول على سبيل التأكيد لقولنا (٣٢) :

لا بَيتَ يُسْكِنُ إلا فَارَقَ السَّكَنا ... ولا امْتَلا فَرحاً إلا امْتَلا حَزَنا
لَهْفاً على ميْتٍ ماتَ السرورُ بهِ ... لو كان حَياً لأَحْيا الدِّينَ والسُّنَنا
واهاً عليك أَبا بكرٍ مُردَّدةً ... لو سكَّنَتْ وَلَهاً أو فتَّرتْ شَجَنا
إذا ذكرتُكَ يوماً قلت واحَزَنا ... وما يَرُدُّ عليكَ القولُ واحَزَنا
يا سَيِّدي ومراحَ الرُّوحِ في بَدَني ... هَلا دَنا الموتُ منّي حيثُ مِنكَ دنا
حتى يعودَ بنا قَعرِ مُظلمةٍ ... لَحْدٌ ويُلبسَنا في واحدٍ كَفَنا

ويحاول ابن عبد ربه أن يضمن حكمة مخلدة ، ويرسم بشعره صورة معبرة عن حال الدينا ، وزوالها المتحقق ؛ لأنَّ الموت ، والفناء قادمان بالتأكيد ، فنجده يقول (٣٣):

ألا إنَّما الدنيا كأحلامِ نائمٍ ... وما خيرُ عيشٍ لا يكون بدائمِ
تأمَّلْ إذا ما نلتَ بالأمسِ لذَّةً ... فأَفْنيتَها هل أنتَ إلا كحالمِ
وما الموتُ إلا شاهدٌ مثل غائبٍ ... وما الناسُ إلا جاهلٌ مثلُ عالمِ

فالشاعر هنا سلط فكره عن الدنيا الزائلة ، والموت المحقق ، فكل ما بالدنيا كما الحلم الذي سرعان ما ينتبه منه المرء ، وهي حكمة مخلدة في جميع العصور ، وقد جاءت الفكرة ذاتها في أقوال الأثر الصالح ، ومنهم من ذكرها قبل ابن عبد ربه ، فعن الأمام الْحَسَنِ (رضي الله عنه) أنَّه قَالَ : « مَا الدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، إِلَّا كَرَجُلٍ نَامَ نَوْمَةً فَرَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يُحِبُّ، ثُمَّ انْتَبَهَ »(٣٤). ومنهم من قالها بعد وفاة شاعرنا ، فقد قالَ أحد الحكماء : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْمٌ، وَالْآخِرَةَ يَقَظَةٌ، وَالْمُتَوَسِّطُ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ، وَنَحْنُ فِي أَضْغَاثٍ »(٣٥). وقال ابن الجوزي : « إنَّمَا الدُّنْيَا حلم نَائِم ، وقائلة رَاقِد ، ومعبر مُعْتَبَر ، وضحكة مستعبر»(٣٦). لذا فالدنيا عبارة عن رؤية سويعات ، بل قد تكون ساعة واحدة ، فتفرّحُ من رآها ، ثم تنقضي من دون عودة ، فلا خير بعيش لا يدوم ، بمعنى آخر كل ما نعيشه ما هو إلا لحظة من لحظات الدنيا ، وإذا بالموت آت ، والفناء قد وقع ، وهذا ما حمل الشاعر إلى طلب التأمل بها ، وعدم تجاهل فكرة الموت المحقق ؛ لأنَّه شاهد غائب . فضلاً عن ذلك فإنَّ الدنيا متقلبة الأحوال باستمرار ، فلا يبقى شيء على حاله فيها ، فيقول في تغيرها (٣٧) :

ألا إنَّما الدُّنيا نَضارَةُ أَيْكةٍ ... إذا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الآمَالُ إلّا فَجائِعٌ ... عَليْها وَلا اللَّذَّاتُ إلّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخِنَتْ بِالأَمْسِ عَيْنٌ قريرَةٌ ... وَقَرَّتْ عُيُونٌ دَمعُهَا الْيَوْمَ سَاكبُ
فَلا تَكتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ ... على ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذاهِبُ

لذا يجب الحذر من إقبالها ؛ لأنَّ السعادة لا تدوم فيها ، واللذات التي تمنحها للمرء عبارة عن مصائب تحيط به ، وتغويه ، وتبعده عن طريق الله تعالى ، فالدنيا كالنبات ، إذا اخضرَّ جانب منه جفَّ الآخر ، ويؤكد ذلك في البيت الثالث ، فيسأل (بكم العددية) عن مدة دوام حال الفرح في الحياة الدنيا ؟!، لذا يجب عدم الوثوق بها ؛ لأنَّ الموت واقع لا محالة ، وبأي وقت كتب الله تعالى دخوله على المرء ، لذا

يجبُ النظر بعين القلب ، والابتعاد عن الدنيا الزائفة ، ونهج الطريق السليم ، والالتزام به ، الذي يبعدك عن سقر ، ويدخلك الجنة . ويقول في نص شعري آخر [٣٨] :

يا قادراً ليسَ يَعْفُو حينَ يقْتدرُ ... ولا يُقَضَّى له مِن عِيشَةٍ وَطَرُ

عايِنْ بِقَلْبِكَ إنَّ العَين غافِلَةٌ ... عنِ الحَقيقةِ ، واعلَمْ أنَّها سَقَرُ

سَوداءُ تَزْفُرُ مِنْ غَيْظٍ إذا سُعِرَتْ ... للظالمينَ فما تُبقي ولا تَذَرُ

إنَّ الَّذينَ اشْتَرَوا دُنْيا بِآخِرَةٍ ... وشِقْوَةً بنعيمٍ ، ساءَ ما تَجَروا

يسلك الشاعر أسلوب النداء على النكرة غير المقصودة مجدداً حتى يقصد كل من يتلقى هذا النص الشعري ، والحكمة المضمنة فيه ، ويسلط الأضواء هذه المرة على كل من يقتدر على العفو ، أو الصفح من البشر ، ولا يفعله ، فسرعان ما يتلقى مصيره ، وعقابه في عيشه ، وفي دنياه قبل آخرته ، ويطلب منه أن يعاين بقلبه ؛ لأنَّ العين تغفل الحقيقة باستمرار ، ولا يمكن لها أن ترى ، أو تشعر بسقر ، على خلاف الرؤية بالقلب ، أو العقل ، ويحاول أن يرسمَ صورة للنار ، وشكلها ، وزفراتها إذا ما سعرت للظالمين ، فهي لا تُبقي ، ولا تذر ، وهذا تضمنين لقوله تعالى :﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾[٣٩]، فكل من اشترى الدنيا بالآخرة ، والشقاء بالنعيم ، وترك طريق الحق فهي تجارة مع غير الله تعالى ، وستكون خاسرة بالتأكيد ، وهذا تضمين لقوله جل جلاله : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[٤٠]، ولقوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾[٤١]، وقد حاول الشاعر بهذا النص أن يحث المتلقي على أن تكون تجارته مع الله تعالى ، وترك الدنيا التي تورث الجحيم . ثم نجده يطلب في نص آخر المبادرة إلى التوبة بإخلاص ، واجتهاد ، ونية صادقة ، ما دام الموت لم يمدْ يده إليك بعد ، وعلى الإنسان أن ينتظر من الله تعالى تحقيق ما وعده إياه ، بقبوله للتوبة ، وبكلِّ تأكيد سيقبلها ، ويتجاوز عن السيئات ؛ لأنَّه جل جلاله لا يخلف الميعاد ، ونجد ذلك بقوله [٤٢] :

بادِرْ إلى التَّوبَةِ الخَلصاءِ مُجْتَهِداً ... وَالمَوْتُ وَيْحَكَ لم يَمْدُدْ إِليكَ يَدا

وَارْقُبْ مِنَ اللَّهِ وَعْداً لَيْسَ يُخْلِفُهُ ... لا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ إِنْجازِ ما وَعَدا

إنَّ الشاعر عندما يغوص ويندمج في عملية خلق النص الشعري سرعان ما يصبح غريباً عن المحيط الخارجي ، وينطوي على نفسه ، ويدخل بعالمه الخاص ، إذ تتحرر عنده تجارب الحياة المادية ، العملية ، من سيطرة الزمان ، والمكان ، لتتشكل وتجتمع في صور وعلاقات جديدة [٤٣]، مؤثرة في المتلقي ، وهذا ما نجده عن ابن عبد ربه ، فمن الموضوعات التي حاول أن يهتم بمعالجتها بطريقة جميلة ، تدفع المرء على تركها ، وتجنبها ؛ لأنها تخالف ما أمر الله تعالى ، هو موضوع رفض الخمرة ، فهي محرمة ، وتؤدي بشاربها إلى الهلاك ، فيقول [٤٤] :

أتَلهو بَينَ باطِيةٍ وَزيرٍ ... وأنتَ مِنَ الهلاكِ على شفيرِ؟

فيا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طويلٌ ... يُؤَدِّيهِ إلى أجَلٍ قصيرِ

أَتَفرحُ والمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ ... تُريكَ مَكانَ قَبرِكَ في القُبورِ؟

هِيَ الدُّنيا وَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْماً ... فَإِنَّ الحُزْنَ عَاقِبَةُ الغُرورِ

سَتُسْلبُ كُل ما جَمَّعْتَ مِنْها ... بِعارِيةٍ تُرَدُّ إلى المُعيرِ

وتَعتاضُ اليقينَ مِنَ التَّظَنِّي ... ودارَ الحقِّ مِنْ دارِ الغرورِ

فقد حاول من خلال السؤال الاستنكاري رفض فكرة شرب الخمرة ، فالباطية تعني الخمرة ؛ لأنَّ الموت هو المصير ، فينادي على كل من غرته الدنيا ، وفرح بها أن ينظر إلى المنية ، التي تدخل من دون إنذار مسبق ، فتأخذ صاحبها إلى القبر ، ليؤكد فكرة زوال الدنيا ، وفنائها مجدداً ، وإنَّ الحزن عاقبة الغرور ، والانجرار نحو ملذات الدنيا ، وعدم الانصياع لما أمر الله تعالى به ، وكل ما يجمعه المرء في الدنيا سيسلب منه ، وينتقل إلى قبره وحيداً فريداً ، وبهذا النص حاول الشاعر تضمن قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾[٤٥]. والحكمة بهذا النص تكمن بوجوب الابتعاد عن الغرور ، والطيش ، والجري نحو ملذات الدينا ، وتجنب المعصية ؛ لأنَّها زائلة ، وسيسلب كل شيء بلحظة ما .

إنَّ ابن عبد ربه لم يقصـــر نظمه على بجانب واحد من جوانب الحكمة ، ولم يكتفِ بمعالجة جزء واحد فقط ، وإنما أهتم بمعظم الموضوعات الإصلاحية ، التي تساعد في بناء الإنسان ، وتسير مع ما أمر به الله تعالى ، لذلك نجده يحث على محاولة كسب المزيد من المكارم ، والسعي إليها باستمرار ، وعدم الاقتصار على واحدة فقط ، وقد شكر الله تعالى سعي من يسعى للحصول على المكارم ، والرضا ، والأجر ، فقال جل لجلاله : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾(٤٦). وفي ذلك قال الشاعر (٤٧) :

وَالحرُّ لا يَكْتَفي مِنْ نَيْلِ مَكْرُمَةٍ ... حَتَّى يَرُومَ الَّتي مِنْ دُونِهَا الْعَطَبُ

يَسْعى بِهِ أَمَلٌ مِنْ دُونهُ أَجَلٌ ... إنْ كفَّهُ رَهَبٌ يَسْتَدْعِهِ رَغَبُ

لِذَاكَ مَا سَالَ مُوسَى رَبَّهُ أَرِني ... أَنْظُرْ إِلَيْكَ وَفي تَسْالِهِ عَجَبُ

يَبْغي التَّزَيُّدَ فِيما نَالَ مِنْ كَرَمٍ ... وَهْوَ النَّجِيُّ لَدَيْه الوَحْيُ والكُتُبُ

فيرى الشاعر هنا أنَّ الإنسان الذي يسعى للمزيد من المكارم ، ويقصدها ، من دون أن يطمع ، ويعرض نفسه للهلاك ، والمخاطر يعد إنســاناً حرّاً ، وقصــد المزيد من الخير بحاجة إلى الســعي المرتبط بالأمل ، والرغبة المتواصـــلة ، ويعطينا مثلاً على الرغبة ، والأمل بالحصـول على الكرم والخير بتضـمينه لقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾(٤٨). فعلى الرغم من حصـول النبي موسـى (عليه السـلام) على النبوة ، والكتاب ، والوحي ، وعلى الرغم من أنَّ الله تعالى نجاه من فرعون إلا أنَّه استمر بطلب المزيد من الكرم ، والتقرب من ربه تعالى ، حتى طلب رؤيته جل جلاله ، فالحكمة بها النص تكمن بوجوب الســعي نحو الخير ، والعمل الصالح ، والتقرب إلى الله تعالى ، وعدم قطع الأمل ، والرجاء منه تعالى .

من خلال ما سـبق تبين لنا أنَّ الشـاعر اسـتطاع أن يعالج أكثر من موضـوع واحد ، تدخل جميعها تحت مظلة غرض الحكمة ، ويدعو إلى التحلي بمجموعة خصـال إنسانية تتصل بالأخلاق الحسنة ، والدين الإسـلامي الحنيف ، ولعل ذلك جاء نتيجة لما مرَّ به من تجارب حياتية ، وظروف اجتماعية ، فضلاً عن الواقع الاجتماعي الذي كان عليه مجتمعه آنذاك .

المبحث الثاني : المشيب والشيب في شعر ابن عبد ربه الأندلسي

إنَّ الله جل جلاله جعل لكل بداية نهاية ، وهي سنة من سننه ، ((فكانت مرحلة المشيب بداية النهاية الحتمية لمرحلة الشباب ، بكل ما فيها من قوّة وعنفوان ، ولمّا كانت مرحلة الشَّباب بداية إحساس الإنسان بقوّته واستقلاله ، وسعيه نحو تحقيق ذاته ، وأمله ، وتفاؤله ، في أيّامه المقبلة ، فإنَّ مرحلة الكبر والمشـيب التي تلت هذه المرحلة مختلفة تماماً عمّا وجدناه في مرحلة الشـباب)) (٤٩)؛ لأنَّها المرحلة التي ((حطَّ فيها الشــباب رحلته ، بعد رحلة طويلة ، ســعى خلالها الإنســان نحو تأكيد ذاته ، وتحقيق ما كان يصــبو إليه ، وإنجاز ما حلم بإنجازه ، فوصل هذه المرحلة ضعيفاً ، استنفدت مرحلة الشباب قواه ، ولا غرو في تبدّل حال الإنسان من القوّة وقت الشباب إلى الضعف وقت الكبر)) (٥٠). وقد كرَّم الله تعالى الشخص الكبير ، وجاء ذلك على لسان النبي محمد (صـلى الله عليه وسلم) ، فقد قال : ((إنَّ من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم))(٥١). وإذا ما نظرنا إلى الشعر العربي الذي تحدث عن صورة الشيب ولونه نجد أنَّ الرؤية قد اختلفت ، فمن الشـعراء من عدَّه مزية ، ومنهم من وجده مثلبة ، تبعا لاختلاف الأحاسيس ، والرؤى ، والنفوس .إنَّ الحديث عن الشـيب في الشــعر العربي يأتي في معرض بعض الأغراض الشــعرية ، وأكثر هذه الأغراض الحكمة والزهد ، وعادة ما يكون ((الشــيب ناطقاً بالحكمة ، فهو يقوم بإخبار الشـباب بانتهاء دورة ، وبدء مرحلة جديدة أُخرى ، هي مرحلة الشـيب ، وإنَّ طريق هذهِ المرحلة الأخيرة غير طريق المرحلة التي سبقتها ، وفي ذلك حتماً موعظة للشاعر))(٥٢). ولمتلقي النص الشعري ، الأمر الذي تطلب منا الغوص بغمار شعر الشـاعر الذي تحدث عن صـورتي الشـيب والمشـيب بعد الفراغ من شـعر الحكمة ؛ لأنَّ العلاقة بينهم عند ابن عبد ربه قوية ، والآصـرة وطيدة ، وعادة ما تكون الحكمة من الحديث عن الشـيب والمشـيب في الشـعر هي للتذكير بسـنة نفاد الشـباب ، وزوال الدنيا الزائفة ، والنصـيحة بعدم التمسك بها ، والتأكيد على فكرة الموت المحقق . مع الإشـارة إلى إنَّنا نقصـد بالشـيب تغير لون الشـعر من السـواد إلى البياض ، وبالمشيب الانتقال من مرحلة الشباب إلى مرحلة الهرم والشـيخوخة ، أي دخول سـن الشـيب . وقد أهتمّ ابن عبد ربه بتوظيف الشيب والمشيب في الكثير من نصوصه الشعرية ، لما لهما من هيبة ، ووقار عنده ، وصورتهما توحي بقرب الموت ، ويبدو أنَّ انتشار الشيب برأس شـاعرنا حمله على توديع مرحلة الشباب ، وأجبره على الابتعاد عن غرض الغزل ، ووجدنا إنَّ خلف ذلك التوظيف للشـيب تكمن حكمة بالغة ، تتمثل برغبته المتواصـلة بإيصـال رسالة للمتلقي مفادها وجوب اسـتثمار الطاقة الشـبابية في العمل الصـالح ؛ لأنَّه

سرعان ما يدب الضعف والكبر في الجسد ، فالدنيا زائلة كما زال الشباب ، وبالتأكيد إنَّ الشيب لا يكون دائما عنواناً للكبر ، ونهاية الشباب فقد يسبق الهرم بكثير من الوقت ، وما زال المرءِ في عنفوان الشباب والقوة [٥٣]. وسنحاول بهذا المبحث استنطاق النص الشعري ، والوقوف على صورة الشيب في مرحلة المشيب والشيخوخة ، وتأثيرها على نفس المتلقي ، مع محاولة الوصول إلى الحكمة المخبئة خلف الموضوع الرئيس ، وهو الشيب ، فضلاً عن إنَّ صورة ((الشيب والهرم لم يؤتَ بها لمجردِ بث معاناةٍ ، وإنما تعود إلى قيمةٍ جمالية ، بدلالة رمزية))[٥٤] وفي ذلك قال ابن عبد ربه [٥٥] :

بَدا وَضَحُ المَشيبِ على عِذاري ... وهل ليلٌ يكونُ بلا نهارِ
وَأَلبَسَني النُّهى ثَوباً جَديداً ... وجَرَّدَني مِنَ الثَّوبِ المُعارِ
شَريتُ سَوادَ ذا بِبَياضِ هذا ... فَبَدَّلتُ العِمامةَ بالخِمارِ
وما بِعْتُ الهَوى بَيعاً بِشَرطٍ ... وَلا اسْتَثْنَيْتُ فيهِ بِالخِيارِ

يبدأ الشاعر هنا ببيان التحول المصيري للون الشعر من السواد إلى البياضِ ، كانتشار ضوء النهار ، وقضائهِ على ظلام الليل ، ويقصد بذلك دخول الهرم والعجز إلى جسم الإنسان ، وطرده للشباب ، والقوة التي كانت تنعشه ، وهو أمر لا بد منه ، ويؤكده الشاعر بسؤاله بحرف الاستفهام (هل) ، ويحاول أن يأخذ المتلقي إلى صورة جميلة تتمثل بتشخيص النُّهى (العقل) ، الذي جرده من الثوب المستعار ، ويقصد به رداء الشباب ، ليبسه ثوب الوقار الأبيض ، بعد اشتعال الرأس بالشيب ، والشاعر بتسليطه للضوء على العقل الذي أسماه النُّهى ؛ لأنَّه ينهى عن الأفعال القبيحة المعيبة ، ويحبسها [٥٦]، أراد بذلك وجوب تحكيم العقل ، والتفكير في قادم الأيام بما ينطبق مع الأخلاق الكريمة ؛ لأنَّ النتيجة الحتمية هي الفناء ، والموت ، ثم يؤكد معنى اندثار الظلام ، وانتشار الضوء بقوله : (شَريتُ سَوادَ ذا بِبَياضِ هذا ... فَبَدَّلتُ العِمامةَ بالخِمارِ) ؛ لأنَّه قطعي الحصول ، كما يُشربُ كأس الماء ، وكما تُخلع العِمامة السوداء ، ويُلبس الخمار الأبيض ، وهذا ليس بيدِ الإنسان ، وليس له الخيار حتى ، بل يتعلق بالله تعالى ، ومشيئته ، فهو الذي حتَّمَ الضعف ، والقوة ، المشيب ، والفناء ، والموت على البشر ، فقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾[٥٧]، وجعل الشيب موعظة وحكمة تحثنا على مراجعة النفس ، والتخلص من الملذات . وبكل تأكيد إنَّ ابن عبد ربه كانَ قاصداً لقوله : (فَبَدَّلتُ العِمامةَ بالخِمارِ)؛ ليحث المتلقي ، ويحاول التأثير به بشكل أوسع ، بالوقت نفسه ، ((فالكلمة الموحية أشبه بالصدى ، الذي ينبعث من صوت آخر ، يختفي وراءه ، وهي بهذا القدر تساعد على سكب ما يجول في نفسه المتدفقة ، بالحركة ، والتعاطف ، والنفاذ إلى قلب المتلقي ، فتحرك لديه الإحساسات))[٥٨]، لذا نجد أنَّ أول ما يفعله الشيب في مخيلة الكثير من الشعراء ومنهم شاعرنا هو دفعهم إلى دعوة الإنسان إلى الابتعاد عن أيام اللهو ، والجري خلف الملذات في مرحلتي الصبا والشباب [٥٩]. أما بخصوص الحالة النفسية للشاعر فيمكن القول أنه يشعر بنوع من الانكسار ، والضعفين البدني والنفسي ؛ لأنَّه يرى بأم عينيه مسيره نحو ما ينتظره . والشاعر بهذا النص ضمَّن الحكمة بتسليط الضوء على الشيب ، لينقل رسالة إلى المتلقي مفادها عليك الابتعاد عن الدنيا ، وعدم الانجذاب إليها ، والاتجاه نحو محاولة تحصين النفس ، وفعل الخير ، وكل ما يسير مع الأخلاق ، والدين . ويؤكد ذلك مرة أُخرى بقوله [٦٠] :

ولّى الشَّبابُ وكنتَ تَسكنُ ظِلَّهُ ... فانظُرْ لنفسِكَ أيَّ ظِلٍّ تسكنُ
ونَهَى المَشيبُ عن الصِّبا لو أنَّهُ ... يُدْلي بحُجَّتِهِ إلى مَن يَلْقَنُ

وكما أسلفنا سابقا نجد هنا حكمة غير مصرح بها ، إذ يحاول الشاعر من خلال تسليط الضوء على اندثار الشباب ، ودخول المشيب ، ودب الكِبر والعجز ، أن يقول إنَّ الدنيا دار فناءٍ ، ولا خير فيها ، فعلى المرءِ العمل ليوم اللقاء برب الكون العظيم ، حتى يُكرم بالجنة . ويستمر الشاعر بتوظيف الشيب في نصوصه من أجل حث المتلقي على الاتعاظ ، ومراجعة النفس ، والابتعاد عن الملذات ، فيقول [٦١] :

أَطلالُ لَهْوِكَ قد أَقْوتْ مَغانِيها ... لم يَبقَ من عهدِها إلا أثافيها
هذي المفارِقُ قد قامَتْ شَواهدُها ... على فَنائِكَ والدُّنيا تُزكّيها
الشَّيبُ سُفْتَجَةٌ فيها مُعَنْونَةٌ ... لم يَبقَ للموتِ إلا أَنْ يُسجِّيها

يخاطب الشاعر المتلقي ، ويقول له إنَّ الديار التي كنت تسكنها ، وتلهو بها قد رحل عنها ساكنيها ، ولم يبقَ منها إلا الآثار الشاخصة ، وكما تغير حال الديار تغير لون شعرك من السواد إلى البياض ، وكأنما الشيب المنتشر بالرأس عبارة عن آثار للشباب المندثر ، والفناء حتمي التحقق ، ومن خلال الماضي يمكن تحديد الطريق الذي كنت تسلكه ، ومدى قربه من الأخلاق والدين ، ومدى ابتعاده عنهما . ويمكن القول أنَّ الشيب رسالة واضحة من الله تعالى إلى المرءِ بانتقاله من الشباب إلى الكبر ، وهو تذكير مستمر بقرب الموت من الإنسان ، وسيتم فصل الروح عن الجسد كما يفصل الغلاف عن لبه ، والمعنى الظاهر بهذا النص يتمثل بانصراف الشباب ، ودخول الضعف والهرم ، والباطن المستوحى يدل على عدم دوموموت الشيء على حال واحدٍ بهذه الدنيا ، وإنَّ الدنيا زائلة فانية ، وهي سنة الله تعالى التي فطر الناس عليها كما أسلفنا ، وهي الحكمة التي طمح إليها الشاعر . إنَّ الكثير من البشر في مرحلة الشيب والمشيب يصيح يعاني من ((ضعف وانهيار في الجسم ، واضطراب في الوظائف العقلية ، ويصبح الفرد أقل كفاءة ، وليس له دور محدد ، ومنسحب اجتماعيا ، وسيء التوافق ، ومنخفض الدافعية ، وغير ذلك من التغيرات))(٦٢)، وعند ذلك يجب مراجعة النفس قبل سلب الروح ، وفصلها عن الجسد . ويعقد الشاعر مقارنة مهمة بين سواد الشعر ، وسواد الليل ، في نصٍّ شعريٍّ جميل ، ويحاول بيان الفرق بينهما فيقول (٦٣) :

سَوَادُ الْمَرْءِ تُنْفِدُهُ اللَّيَالِي ... وَإِنْ كَانَتْ تَصِيرُ إِلَى نَفَادِ
فَأَسْوَدُهُ يَصِيرُ إِلَى بَيَاضٍ ... وَأَبْيَضُهُ يَعُودُ إِلَى سَوَادِ

يرمز الشاعر إلى الشيب باللون الأبيض ، الذي يدل عند الكثير من البشر على الطهارة ، والصفاء ، والنقاء ، وبالوقت ذاته فالشيب يمثل البداية التي بدأ بها الإنسان مرحلته الجديدة ، والتي تقابل النهاية المنقرضة التي لن تعود (٦٤) ، فيبين الشاعر بهذا النص أن سواد الشعر ينفد ، ويذهب ، ويختفي ، مع الأيام والليالي ، فمع مرور الوقت يتحول السواد إلى بياض ، والشباب إلى ضعف وكبر ، وهرم ، وعجز ، على الرغم من ذهاب الليالي هي الأُخرى بدخول النهار عليها ، إلا أنَّ الليالي ستعود ، وسيعم ظلامها ، وسوادها على ضوء النهار ، غير أنَّ سواد الشعر لن يعود مجدداً بعد بياضه كعودة سواد الليل ، وهنا المفارقة التي توجب الاتعاظ ، وتحث على ترك الدنيا وما فيها ؛ لأنَّ مرحلة الهرم أو الضعف هي مرحلة حتمية ، وبكل تأكيد سيصل المرء إليها ، إن لم يأمر الله جل جلاله بموته قبلها ، فلا يجب نكرانها ، أو التمادي فيها . ويعزف الشاعر على وتر الشيب مجدداً ، ويبدو أنَّ شعره بهذا الطور قد جاء مؤثراً ، صادقاً ، أكثر من غيره ، وقد روي أنَّه قيل : ((ما بال شعركم في الشيب أحسن أشعاركم في سائر قولكم؟ قالوا : لأنا نقوله وقلوبنا قرحة))(٦٥)، وذلك لأنَّ الإنسان بهذه المرحلة أقرب ((إلى الاكتئاب ، والأسى منه إلى الفرح ، والأمل ، وأدنى إلى الضعف ، والعجز منه إلى القوة ، والاقتدار))(٦٦). إنَّ للمرءِ محاولات مستمرة في إخفاء بياض الشيب الذي ظهر برأسه ، تشبثاً بمرحلتي الصبا ، والشباب ، وتعلقاً بمعاني الفتوة ، والقوة ، وما ذلك الإخفاء للشيب إلا غطاء نفسي ، قبل أن يكون حسياً ، يزيل عنه قليلاً من وطأة ألم الكبر ، والضعف ، والشيب إذا تبدى وانتشر في حلكة مفرقه ، ويمكن القول أنَّ هذه الحالة هي جبلة النفس الإنسانية ، التي جبلت على إخفاء الشيب ، وقد تحدث الكثير من الشعراء وهم أرهف الناس حسّاً ، وأرقهم عاطفة ، عن الشيب وتخضيبه ، حديثاً كثيراً ينم عن أسى الإنسان من هذا الوافد ، الذي أجبرهم على تبديل صبغته بالسواد الحبيب على نفوسهم (٦٧)، ومن هؤلاء الشعراء شاعرنا ، فمن جميل نظمه في صورة تخضيب الشيب ولونه الأبيض قوله (٦٨):

أَصَمَّمَ فِي الْغَوَايَةِ أَمْ أَنَابَا ... وَشَيْبُ الرَّأْسِ قَدْ خَلَسَ الشَّبَابَا
إِذَا نَصَلَ الْخِضَابُ بَكَى عَلَيْهِ ... وَيَضْحَكُ كُلَّمَا وَصَلَ الْخِضَابَا
كَأَنَّ حَمَامَةً بَيْضَاءَ ظَلَّتْ ... تُقَابِلُ فِي مَفَارِقِهِ غُرَابَا

يسأل الشاعر هنا عن استمرار تصميم الإنسان في الإمعان بالضلال وحب الدنيا ، أم أنَّه سيرجع إلى طريق الحق والصواب ؟، خصوصا بعد أن انتشرَ الشيب بالرأس ، واختلسَ ، وسرقَ الشباب ، ويتحدث مع الذين يعمدون إلى تخضيب وصبغ شعرهم بالحناء وغيرها بعد أن ابيضَ ، فكلما اختفى الصبغ ، وظهر البياض بكى عليه ، وكلما أدام الصبغ ، واخفى البياض ضحك فرحاً ؛ لأنَّه يرى أنَّ الخضاب غطاء وستر للشيب ، لذا فقد يحس الإنسان بالحزن ، والأسى عندما يشعر بتسرب الشباب واختفائه ، وانقضاء عهد القوة (٦٩)، ويشبه الشاعر الشعر الأبيض ، والشيب بالحمامة البيضاء ، والشعر الأسود بالغراب ، لتقابل الحمامة الغراب في شعر رأسه ، بين لوني البياض والسواد . وفي المعنى ذاته قال الشاعر في تصوير هرمه (٧٠) :

جَارَ الْمَشِيبُ عَلَى رَأْسِي فَغَيَّرَهُ ... لَمَّا رَأَى عِنْدَنَا الْحُكَّامَ قَدْ جَارُوا
كَأَنَّمَا جُنَّ لَيْلٌ فِي مَفَارِقِهِ ... فَاعْتَاقَهُ مِنْ بَيَاضِ الصُّبْحِ إِسْفَارُ

يتحدث ابن عبد ربه بهذا النص عن نفسه ، ويصف حاله بعد انتشار الشيب برأسه ، وغير لون شعره من السواد إلى البياض ، والسبب في ذلك كما يرى الشـاعر يكمن في جور الحكام ، وظلمهم ، وفسـقهم ، وابتعادهم عن تطبيق حكم الله تعالى ، وعن فرض العدل في المعمورة ، فقد كان لون شعره يشبه ظلال الليل ، فسرعان ما سلبه الشيب ، كما يسلب ضوء النهار ظلام الليل ، وفي هذه المرحلة يصبح الإنسان يعاني من الضعفين العاميين النفسي والجسدي ، فيفضي ذلك إلى مشاعر سلبية تحيط به ، وتجعله يحس ، ويشعر بدنو أجله ، وقرب نهايته ، فيدب القلق على ما تبقى من العمر ، والخوف من المرض ، والوحدة ، والعزلة (٧١). ويضيف الشاعر صورة أخرى لا تقل جمالاً ، وتأثيراً عن سابقاتها (٧٢) :

نُجُومٌ في المَفارِقِ ما تَغُورُ ... ولا يجري بها فلكٌ يدورُ
كأنَّ سوادَ لِمَّتِهِ ظلامٌ ... أغارَ مِنَ المَشيبِ عَليْهِ نُورُ
ألا إنَّ القتيرَ وعيدُ صدقٍ ... لنا لو كانَ يجزرُنا القتيرُ
نذيرُ الموتِ أرسلهُ إلينا ... فَكَذَّبْنا بِما جاءَ النَّذيرُ
وقلنا للنفوسِ : لعلَّ عمراً ... يَطُولُ بنا وَأَطْوَلُهُ قَصيرُ
مَتى كُذبتْ مَواعِدُها وخانَتْ ... فَأَوَّلُها وَآخِرُها غُرورُ
لقد كادَ السُّلوُّ يُميتُ شَوقِي ... وَلكِنْ قَلَّما فُطِمَ الكَبيرُ
كأني لم أَرُقْ بلْ لم تَرُقْني ... شُموسٌ في الأكِلَّةِ أو بدورُ
ولمْ ألقَ المُنى في ظلِّ لهوٍ ... بأقمارٍ سَحَائِبُها السّتُورُ

يحاول الشـاعر هنا أن يضيف الجمال على قدوم الشيب ، إذ يستعير النجوم المضيئة التي لا تغيب ، ولا تختفي للشيب المنتشر في الرأس ، فهي ثابتة ، ولا تتغير كثبات الشيب الجميل ، الذي غار منه الشعر الأسود ؛ لأنَّ السواد ظلام ، والبياض ضياء ونور ، فتطمح النفس للنور ، وتنفر من الظلام ، ويؤكد في البيتين الثالث والرابع الفكرة التي تقول إنَّ الشيب عبارة عن إنذار بقرب الموت ، ودنوه ، فهو يسلب الشباب ، وينشر الضعف ، إلا أنَّ الإنسان يتجاهل هذا النذير باستمرار ، ولا يتعظ منه ، ويقول لنفسه ما زلت بخير ، وقوة ، وأن العمر سيطول بي ، ثم يسأل الشـاعر بقوله : (مَتى كُذبتْ مَواعِدُها وخانَتْ) ؟ ليؤكد إنَّ أول الدنيا وآخرها عبارة عن غرور للإنسـان ، فهي تجره نحو ارتكاب المعاصـي ، فحتى شـاعرنا لم يسلم في شـبابه منها ، حتى أنسته الموت لمدَّة ، لكنه انتبه من ذلك ، وخرج من طريقها الزائف ، وانفطم عنها كما يفطم الطفل الكبير من الرضـاعة . ويستمر الشـاعر في التأكيد على فكرة الانذار الذي يعطيه الشيب للإنسان ، لمراجعة نفسه ، والتخلص من غرور الدنيا ، فيقول (٧٣) :

يا مَنْ تَلَهَّى وشَيْبُ الرأسِ يَنْدُبُهُ ... ماذا الذي بَعدَ شَيْبِ الرأسِ تَنْتَظِرُ ؟
لو لم يَكُنْ لكَ غيرَ المَوتِ موعظةٌ ... لكانَ فيهِ عَنِ اللَّذَّاتِ مُزْدَجَرُ
أَنتَ المَقُولُ لَهُ ما قُلْتُ مُبْتَدِئاً: ... « هَلاَّ ابْتَكَرْتَ لِبَيْنٍ أَنْتَ مُبْتَكِرُ؟«

لقد استطاع الشـاعر من خلال توظيفه لصـورتي المشيب ، والشيب ، ولونه في شعره أن يبين فكرة زوال الدنيا للمتلقي ، وعدم استمرار شـيء على حاله فيها ، مما يتطلب من المرء الانتباه من مكائدها ، وغرورها ، وعدم التحسـر على الشـباب المنقرض ، وكره العجز ، والكِبر المحتم ؛ لأنَّ ذلك من سنن الله تعالى على خلقه .

الخاتمة :

١. استعمل الشـاعر لأسلوبي النداء والأمر في الكثير من نصـوص الحكمة ؛ لما لهما من تأثيرٍ كبيرٍ على المتلقي ، إذ تشدها للإصغاء ، ومراجعة النص مرارا للاعتبار .

٢. حاول الشـاعر أن يضمن أبياته الشـعرية آيات من القرآن العريم ؛ لتوضـيح الفكرة التي يريد طرحها ، وأنَّها تتفق مع ما جاء بالقرآن الكريم ، فضلاً عن زيادة الأثر في نفس المتلقي للحكمة ، والعمل بها ، والابتعاد عن الدنيا الزائفة ، التي تشبه الحلم .

٣. لم يقتصر الشاعر على معالجة موضوع واحدٍ من موضوعات الحكمة ، بل حاول الخوض في الكثير من الموضوعات الاصلاحية التي تقوم المرء ، والمجتمع .

٤. جاءت لغة النصوص الشعرية سهلة واضحة لغرض ايصال المعنى المقصود إلى المخاطب ، بشكل سليم ، وواضح ، لا يشوبه الغموض .

٥. وجدنا ترابطا قويا بين غرض الحكمة وتوظيف الشيب وصورته في النصوص الشعرية ، مما تطلب منا الغوص ببحريهما ، ومحاولة كشف خفايا النصوص ، وغرض الشاعر من توظيف الشيب بنظمهِ .

٦. وظف الشاعر صورة الشيب في الكثير من النصوص الشعرية ، لتسليط الضوء على زوال الشباب ، والانتقال إلى مرحلة الهرم والضعف ؛ والغرض من ذلك لإيصال فكرة زوال الدنيا ، وفنائها ، مما يتطلب مراجعة النفس ، والابتعاد عما يخالف النهج الإلاهي الصحيح ، الذي يورث الفردوس الأعلى ، ويجنب المرء الجحيم ، والعقاب .

٧. لم نجد ذمًّا للشيب عند الشاعر في جميع النصوص التي وظف الشيب بها ؛ لأنّه يؤمن به كأمر حتمي الوقوع ، وإنَّ الشيب عنده عبارة عن إنذار مسبق بدنو الموت ، وقربه ، فضلاً عن زوال الدنيا .

الهوامش :

(١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية : ٢٦٩ .

(٢) صحيح البخاري ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري : ١٣٠٣ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة لقمان ، الآية : ١٢ .

(٤) ينظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ١/١٩٠ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ١/٥٠٢ .

(٦) ينظر: موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري: ١٩–٢٠.

(٧) الحكمة في شعر أبي البقاء الرندي ، البنية والدلالة : ٢٣ .

(٨) المصدر نفسه : ٢٣ .

(٩) الإنسان في الشعر الجاهلي ، عبد الغني أحمد زيتوني : ٢٥٦ .

(١٠) ينظر : موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري : ٢٤ – ٢٥ .

(١١) ينظر : شرح المعلقات السبع ، الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله : ١٥٥ .

(١٢) ينظر : حول الحكمة في الشعر العربي ، د. عبد الله باقازي : ٦٢ .

(١٣) ينظر : شرح المعلقات السبع : ١٠٣ .

(١٤) القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآية : ٤ .

(١٥) ينظر : شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دراسة تحليلية : ٣٠٥ .

(١٦) ينظر : ديوان امرئ القيس ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم : ٢٦٥ .

(١٧) ينظر : ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق وجمع : محمد جبار المعيبد : ١٢٣ .

(١٨) ينظر : تاريخ العلماء والرواة للعلمِ بالأندلس : ١/٥٠ . و ينظر : وفيات الأعيان : لابن خلكان : ١/ ١١٠ – ١١٣ . وينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ٢/٣١٢ .

(١٩) رايات المبرّزين وغايات المميّزين : ٧٧ .

(٢٠) تاريخ العلماء والرواة للعلمِ بالأندلس : ٢/١٨ .

(٢١) ينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ٢/٣١٢ .

(٢٢) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره : ٦٧ .

(٢٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٦٢ .
(٢٤) ينظر : المصدر نفسه : ٤١ .
(٢٥) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية : ٧٤ .
(٢٦) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية : ٦٠ .
(٢٧) القيم التربوية في الشعر العربي القديم : ٥٣ .
(٢٨) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٨٦ .
(٢٩) ينظر : المصدر نفسه : ١٦٩ .
(٣٠) التصوف في الشعر العربي – نشأته وتطوره – حتى أخر القرن الثالث الهجري : ٨٤ .
(٣١) المصدر نفسه : ٨٤ .
(٣٢) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ١٥٩ .
(٣٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٧ .
(٣٤) الزهد لابن أبي الدنيا : ١٧١ .
(٣٥) المصدر نفسه : ١٧٣ .
(٣٦) المدهش ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن : ٥٢٥ .
(٣٧) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٤٩ .
(٣٨) ينظر : المصدر نفسه : ٩١ .
(٣٩) القرآن الكريم ، سورة المدثر ، الآية : ٢٦ – ٢٨ .
(٤٠) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية : ٨٥ .
(٤١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية : ٩٠ .
(٤٢) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٦٨ .
(٤٣) ينظر : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ٢٠ .
(٤٤) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٩٧ .
(٤٥) القرآن الكريم ، سورة غافر ، الآية : ٣٩ .
(٤٦) القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، الآية : ١٩ .
(٤٧) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٤٦ .
(٤٨) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية : ١٤٣ .
(٤٩) الشّباب والشّيب في الشّعر الأندلسيّ دراسة موضوعيّة نفسيّة : ٢١٣ .
(٥٠) المصدر نفسه : ٢١٣ .
(٥١) رياض الصالحين ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ) : ١٤١ .
(٥٢) أنسنة الشيب والشباب في الشعر العربي قبل الإسلام : ٢٨٥ .
(٥٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨٤ .
(٥٤) الشيب والهرم في الشعر العربي في العصرين الإسلامي والأموي ودلالتهما الفنية : ١٢٤ .
(٥٥) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٩٧ .
(٥٦) ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : ١٥٥/٤ .
(٥٧) القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية : ٥٤ .
(٥٨) مذاهب الأدب معالم انعكاسات : ٣٦/٢ .
(٥٩) ينظر : عشر شعراء مقلون : ٢٣٠ .

(٦٠) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ١٦٠ .

(٦١) ينظر : المصدر نفسه : ١٦٧ .

(٦٢) الابعاد النفسية للمسن : ٢٦ .

(٦٣) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٧٢ .

(٦٤) أنسنة الشيب والشباب في الشعر العربي قبل الإسلام : ٢٨٣ .

(٦٥) الفاضل ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس : ٧٢ .

(٦٦) الإنسان في الشعر الجاهلي : ٢٦٣ .

(٦٧) ينظر : الشباب والشيب في الشعر العربي حتى العصر العباسي : ١٥٤/١ .

(٦٨) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٤٥ .

(٦٩) الإنسان في الشعر الجاهلي : ٢٦١ .

(٧٠) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٩٠ .

(٧١) ينظر : التوجيه والإرشاد النفسي ، حامد عبد السلام زهران : ٤٢٦ .

(٧٢) ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : ٩٠ .

(٧٣) ينظر : المصدر نفسه : ٩١ .

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .

٢. الأبعاد النفسية للمسن ، عبد المنعم الميلادي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية – مصر ، د . ط ، ٢٠٠٦م .

٣. الإنسان في الشعر الجاهلي ، عبد الغني أحمد زيتوني ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، ط ١ ، ٢٠٠١م .

٤. أنسنة الشيب والشباب في الشعر العربي قبل الإسلام ، د. سؤدد يوسف عبد الرضا علي ، مجلة التراث العلمي العربي ، العدد ٤٣ ، ٢٠١٩ م .

٥. تاريخ العلماء والرواة للعلمِ بالأندلس ، لابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣ هـ) ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة – مصر ، ١٩٥٤ م .

٦. التصوف في الشعر العربي – نشأته وتطوره – حتى أخر القرن الثالث الهجري ، عبد الحكيم حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة – مصر ، ١٩٥٤م .

٧. التوجيه والإرشاد النفسي ، حامد عبد السلام زهران ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ، ١٩٨٥م .

٨. الحكمة في شعر أبي البقاء الرندي ، البنية والدلالة ، نوف بنت محمد علي يماني ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية وآدابها ، ١٤٣٧هـ .

٩. حول الحكمة في الشعر العربي ، د. عبد الله باقازي ، إصدارات نادي مكة الثقافي الأدبي ، (٨٤) ، ١٩٩٣م .

١٠. ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره ، حققه وشرحه : د. محمد التونجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٣م .

١١. ديوان امرئ القيس ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة – مصر د . ط ، د . ت .

١٢. ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق وجمع : محمد جبار المعيبد ، دار الجمهورية ، بغداد ، د . ط ، ١٩٦٥م .

١٣. رايات المبرّزين وغايات المميّزين ، لابن سعيد علي بن موسى بن عبد الملك المغربي ت ٦٨٥ هـ ، تح : د .النعمان عبد المتعال القاضي ، القاهرة ، مصر ، د . ط ، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .

١٤. رياض الصالحين ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ) ، تح : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٨ م .

١٥. الزهد لابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت : ٢٨١هـ) ، دار ابن كثير ، دمشق – سوريا ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
١٦. الشّباب والشّيب في الشّعر الأندلسيّ دراسة موضوعيّة نفسيّة ، رغد علي الزبون ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ، عمّان – الأردن ، المجلد ٤٢ ، العدد ١ ، ٢٠١٥م .
١٧.الشباب والشيب في الشعر العربي حتى العصر العباسي ، د. عبد الرحمن هيبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية – مصر ، د . ط . د. ت .
١٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)، مكتبة القدسي ، القاهرة – مصر ، ط ١ ، ١٣٥٠ هـ .
١٩.شرح المعلقات السبع ، الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله ، مكتبة المعارف ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٩٧٩م .
٢٠.شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دراسة تحليلية ، محمود عبدالله الجادر ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، د. ط ، ١٩٧٩ م .
٢١.الشـــعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ، تر : محمد إبراهيم الشـــواش ، مطبعة عيتاني الجديدة ، بيروت – لبنان ، د . ط ، ١٩٩٩م .
٢٢.الشيب والهرم في الشعر العربي في العصرين الإسلامي والأموي ودلالتهما الفنية ، علي حسين جاسم الجنابي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧م .
٢٣.صحيح البخاري ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، دار السلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
٢٤.عشرة شعراء مقلون ، صنعه : د. حاتم الضامن ، منشورات جامعة بغداد ، د . ط ، ١٩٩٠ م .
٢٥. الفاضل ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـــــ) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة – مصر ، ط ٣ ، ١٤٢١ هـ .
٢٦. القيم التربوية في الشعر العربي القديم ، أحمد جهان الفورتية ، مكتبة الشعب ، مصراته – ليبيا ، ط ١ ، ٢٠٠٣م .
٢٧. المدهش ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت : ٥٩٧هــ) ، تح : الدكتور مروان قباني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٥م .
٢٨.مذاهب الأدب معالم انعكاسات ، د. ياسين النصير ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٢ م .
٢٩.المعجم الوسـيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصـطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر ، محمد النجار ، دار الدعوة ، القاهرة – مصر ، د . ط ، د . ت .
٣٠.المنهاج شـرح صـحيح مسـلم بن الحجاج ، يحيى بن شـرف أبو زكريا النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ .
٣١.موازنة بين الحكمة في شـــعر المتنبي والحكمة في شـــعر أبي العلاء المعري ، زهدي صـــبري الخواجا ، دار صـــبري ، الرياض – السعودية ، ط ٢ ، ١٩٩٤م .
٣٢. وفيات الأعيان : لابن خلكان، أبي العباس شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـــ) ، تح : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، د. ط .